القصص

صور من هوميروس

٨ - حروب طروادة

من السماء...

للأستاذ دريني خشبة

قضى بروتسيلوس نحبه ، وعادت روحه الكريمة إلى هيدْز مصطحبةً روح زوجته البارة ، وغرست عرائس الفنون فسائل الدردار فوق قبر الراحلين فنمت وترعرعت ، ونمَّ بفيئها الوارف ماء الهيلسْبُنْت [1] ورتعت في ظلها أترابه . . .

ولكن . . . !

لقد كانت روح بروتسيلوس الجذوة التي أجّجت نيران الحرب فجعلتها ضراماً ! ! فانه ما كاد يُرمى بالسهام فيُصمى ، فيسيل دمه أنهاراً ، حتى تدفقت جيوش الهيلانيين على الشاطئ الأسيوى ، غير مبالين بالموت الأحمر الذى كانت تمطرهم به سهام الطرواديين ، والمنية السوداء التي كانت تقطر من سيوفهم ، فتحصد صفوف الغازين حصداً . لا . لم يبال الهيلانيون بهذا الهول الأكبر ، بل انقضوا على الشاطئ شِكاكاً في سلاحهم ، مُقنَّعين في دروعهم ، مرهفين سيوفهم ، تفيض عليهم عدة الحرب كأنهم جِنَّة ترقص في زوبعة ، أو ظلال من الذعر تجول في معمعة

وتبعهم قادتهم العظماء فانطلقوا يبوِّئونهم مواقف للقتال ، ويلقون عليهم من كلمات الحماسة وخطب الاستبسال ، ما أضرموا به جوانحهم شوقاً إلى خوض الكريهة ، وحنيناً إلى اقتحام الوغى ، وصبوة إلى تقبيل الرقاق البيض

ودُقت الطبول فكانت إيذاناً بهجوم الهيلانيين

فانظر الآن إلى البحر يلتطم بالبحر ، والموج يساور الموج ، والموت يصاول الموت ، والحياة الحلوة تأخذ بتلابيب الحياة الحلوة ، وصيحات الهيلانيين تردها صيحات الطرواديين ؛ وليل الآخرة يغطش نهار الدنيا ، وظلام القبور يكشر لهذه الدور ، والفزع يمشى فى صفوف هؤلاء وهؤلاء ، واليتم يجرح هذا الكبد ، ويقرح ذلك القلب ، والحزن يفيض على هذا السهل ، ويجوب ذاك الوادى ، ويرف على قلل تلك الجبال ، وأنين الجرحى يطن فى فضاء الساحة الحمراء ، فيملأ الآذان بالهلع ، والنفوس بالجزع ، والدماء تتفجر هنا ، وتتحدّر هناك ، والرؤوس منتثرة فوق الأديم المضرّج ، زائغة أبصارها ، مفغورة أفواهها ، معفرة بالتراب أنوفها التي عزت على العالمين . . .

ثم انظر إلى أخيل يرعد بين الصفوف ويقصف ، ومن ورائه الميرميدون يوزعون المنايا ويهدهدون الحتوف ويقرّبون الآجال !

وأوليسيز الفوار وتلك العجاجة المنعقدة فوق رأسه من غُبار الحرب ، وهذه الصَّمدة السمراء بيمينه تنفث الموت فى صدور الأعداء !

وأجاكس وجنوده ؛ الكُرّار الفُرّار ، الذاويد الأحرار !

ومنليوس ؛ قائد العساكر البَوُطية ، القروم البواسل ، والليوث الكواسر !

وديوميد ؛ نبعةُ أرومته ، وسيد عشيرته ، ووجه قومه ، وفارس كتيبته !

وأجابينور ؛ فتى أركاديا ، وملاك أمرها ، وشمس ضحاها !

وميجيز ؛ النَّجد الباسل ، والبطل الحلاحل !

وإيدومينيز ؛ ملك كريد وقائد جنودها ؛ أباة الذل ، وكُماة الوغى ، ومَرادى الحروب !

وتليبوليموس بن هرقل بطل المجازفات ، المقدام أخو

---

(١) هو بوغاز الدردنيل ، وبالقرب من مأخذه الجنوبى ، على شاطئ اسيا توجد طروادة

الثمرات ! [1] ثم انظر إلى الصيد الصناديد من أبناء طروادة ، وجيرانهم الـكماة الآباة الحماة !

هاك هكتور العظيم بن بريام الملك ، عضد طروادة وستدها وليث عرينها ؛ الثبت الصابر المصابر ؛ رابط الجأش شديد البطش ؛ قوى الشكيمة الفارس المقدام !

هاك هكتور الأسد ، يرغى فى أسود الشرى ويزبد ، ويوقل فى بطاح طروادة وينجد !

وهاك إينياس الهائل ، يقود (الدردان) الأبطال إلى كرائم الفعال فى ساحة القتال !

وهاك بنداروس ! تلميذ أبوللو وربيبه ، يقود فرسانه الفحول ورجاله البهاليل !

وهاهما ولدا ميروبس الـكبير ملك أبيـوس ، يصولان فى الحومة ويجولان !

وهاك آسيوس بن ملك أبيدوس ، يتقدم رعيل فرسانه ، ويداعب أعداءه بعُرَّانه !

وهاهم أشبال تراقية ، يقودهم يوفيموس المقدام ، ويقتحم بهم أيما اقتحام !

وهاهم نسور أميدون البواشق ؛ أقبلوا من هناك . . . من جنات سيحون وجيحون ليخوضوا الجحيم ، فى ذلك اليوم العظيم ، وليذودوا عن طروادة ، حليفتهم ؛ ويدفعوا . . . !

وهاهم أمراء ميديا ، أقبلوا فى عدة وعديد ، وكل جبار مريد !

أنظر إذن إلى الجيشين فى مد وجزر ، تبسم لأحدهما الآمال ، وتعبس للآخر المنايا ؛ ثم تدور الدائرة ، فيفلل المنهزم ، ويتأخر التقدم ، وهكذا دواليك

وتغيب الشمس وتشرق . . . . .

ويبزغ القمر . . . ويغرب

وتكر الأيام ، وتمر السنون !

وكلما لاحت للطرواديين غفلة من أعدائهم خرجوا اليهم وهم ألوف فنالوا منهم ، حتى إذا كرُّوا عليهم عادوا إلى معاقلهم فلاذوا بحصونها ، واعتصموا بأبراجها ، وتلبثوا هناك حتى تتاح لهم فرصة أخرى

* * *

(١) ذكر هوميروس رؤساء العشائر اليونانية التى اشتركت فى هذه الحرب فى الـكتاب الثانى من الالياذة ونحن نـكتفى بذكر من أوردنا أعوام تسعة ! !

مليئة بالتعب ، مشحونة بالنصب ، مفعمة بالخطوب والأهوال

وكان الهيلانيون يرسلون البعوث والسرايا ، فتجوب الريف وتؤوب بالغنائم والفيء ، والأسلاب والسبي ، فيقتسمها القادة ، ويفيضون منها على الجند

وهاجموا مرة إحدى القرى ، فكان من جملة السبى فتاتان ذواتا رقة وفتون . أما إحداهما فكانت من نصيب أجاممنون ، واسمها خريسيز ، وهى ابنة كاهن القرية الورع ، حبيب أبوللو وخليله وصفيه ، القديس خريسز . وكانت فتاة لعوباً حلوة الدل رشيقة الروح ، وكان أبوها يحبها حباً جماً لا تعدل بعضه كل مباهج الحياة ! !

أما الأخرى فقد خلصت لأخيل وأخلصت له الود ، وساقاها هو المحبة ، فكان أحدهما للآخر فى هذه المحنة القاسية الصدر الحنون ، والقلب النجىّ ، والملاذ الأمين . اسمها بريسيز ، وأبوها شريف من أشراف هذه الناحيـة التى نكبت بتلك الحرب الضروس ، فَصَلِيَتْ لظاها ، وطحنتها رحاها

وعلم كاهن القرية بما كان من أمر ابنته ، فازدحمت على قلبه هموم الحياة ، وأحس فى أعماقه بثقل البلية ، وشعر كأنه جُرِّد من كل شيء حتى من نفسه

وبدا له أن يذهب إلى قائد الجند الهيلانى فيفتدى خريسيز ، ولو نزل لأجاممنون عن كل ما يملك . وحذره صحبه من المخاطرة بنفسه فى هذا الطريق الشائك ، ولـكنه لم يعرهم التفاتة واحدة ، بل دهن نفسه بالطيب الـكهنوتى المقدس ، ولبس مُسُوحه ، وعقد زُنَّاره ، وتناول مِسْبَحَةَ أبوللو العظيم ، ثم توكأ على عصاه العتيدة ، وذهب يتهالك على نفسه ، ويتعثر فى خطاه ، حتى كان تلقاء المعسكر الضخم

وسأل عن خيمة القائد العام ، فقيل له إنها هى الفسطاط الأكبر الذى تبدو قبته هناك .... هناك عند شاطئ الهلسپنت ، بين الجيش وبين الأسطول

وانطلق الـكاهن الجليل والدمع ينحدر من قلبه قطرات من الدم ... عن طريق عينيه ، فيعلق بلحيته البيضاء ، فيصبغها بأرجوانه ، كأنه آية السماء الباكية ، نذيرا لهذه القلوب القاسية ، والنزاة الأقوياء ! !

وبلغ الفسطاط بعد لأى ...

واستأذن على القائد العام فلم يؤذن له .... فاستأذن ثانيةً فهُدد بالضرب والعقوبة ! ... ولكنه أب مفئود ، وحزين منكود ، فتصبّر قليلاً واستأذن في أدب ولين واستكانة ، فأذن له ....

ووقف أمام القائد الأكبر واهيَ الجسم موهونَ القلب ، محزوناً متصدعاً ، وحاول الكلام فكانت العبرات تخنقه ، والأسى يعقد لسانه ، والنار المندلعة في رأسه تنسيه كل شيء

وثار به أجاممنون !

لأنه على ما يبدو فوّت عليه لذةً طارئة ، وسكرةً موانية ، بمجيئه في تلك اللحظة الهانئة القريرة ، وإلحافه الشديد بضرورة لقاء القائد ....

واحتشد القادة ورؤساء الجند حول فسطاط القائد ، وسمعوا إلى الكاهن الكبير يقول :

« مولاى !

سعيت اليك عائذاً بك ، داعياً أبولو العظيم لك ، أن يفيء عليكم من النصر والفتح المبين ، وأن يهبكم من الرعاية واللين ما تشتهي أنفسكم ، وتقر به أعينكم ، وما ترفعون به عن ظلم الضعفاء ، والجور على الملهوفين ، فقد يغنى القليل الذى ترضى عنه الآلهة ، عن الكثير الذى يثير سخطها ، ويستنزل غضبها ..

إبنتي يا مولاى !

خريسيز العزيزة ! ردها علىّ يباركْ لك أبولو ، ويُنِرْ لك سبيلك ، ببركة دعوات قديسه الحزين الواقف أمامك ، المبتهل اليك ، المستعد لأن يفتديها بكل ما علك ، وبكل ما يقدر عليه مما يرضى الملك ! »

لكن الملك أشاح بوجهه ، وكبر عليه أن يجرؤ هذا الكاهن على التفوه بهذه الطلبة العزيزة أمامه ! خريسيز ! أينزل أجاممنون عن خريسيز وقد احتلت من قلبه مكانة زوجه كليتمنسترا ! واستحوذت على لبه حتى نسى الحرب ، وعزف عن الطعن والضرب ، واستقر معها في فسطاطه آخذين في لهو وحب ، وغناء وشرب ! !

أينزل أجاممنون عن خريسيز الجميلة الفاتنة ، ولو استحالت عينا الكاهن بئرين تنزفان الدمع ، وتفيضان بالدم ؟

كلا ! لن ينزل أجاممنون عن خريسيز !

« إصغ يا رجل ! ليس بي أن تكون قديس أبولو ، وحامل صولجانه ، وحامي مسبحته ، وعاقد زنّاره !

ستعود خريسيز معى ... إلى آرجوس ... وستذوى جمالها هناك ، وتذبل محاسنها بين ذراعى ، وسأ كل إليها منزلى تخدم فيه ، وتصير أم بنين ، وسيكون بها قصرى جنة خلد ونسياً لا يغني ... اذهب ، فاسفح دموعك فى صومعة أبولو ، وصعّد زفراتك في هيكله ، وبين يدى صنمه ... اذهب ، وانج بنفسك من عذاب أليم ...

خريسيز تعود معك !؟

إنك تثير النقمة في نفسي ، فانج بنفسك ... انج ... »

وتصدّع صدر الرجل ، وكاد قلبه يقف ، فتقف أنفاسه !!

وانثنى والدنيا المظلمة تحجب ناظريه ، وكلمات القائد الظالم تَردَّدُ فى مسمعيه ، فما كاد يبلغ قريته حتى خلا إلى أبولو ، وجلس يبكى ... ويصلى !!

« أبولو ! !

يا إلَـهى !! أسمعت ؟ لقد استهزأ بك أجاممنون ، وفجعنى في بنتى ، وفلذة كبدى ، وقطعة قلبي ، وحياة روحى ! !

أبولو ! !

هل سمعت يا رب النور ! ؟ أرأيت إلى ذلك العاتى المتجبر كيف ثار بقديسك الضعيف المسن الذى أحنت ظهره السنون في عبادتك ، والصلاة لك ، والتسبيح من أجلك ، والهتاف باسمك . ! ؟

ألا فلتنتقم لعبدك يا أبولو العظيم ، وليحل على الطغاة غضبك ، ولْتُسْحِتْهم بعذاب واصب ، ليس له من قدرتك من دافع ...

أبولو ... !

استجب يا رب الهيكل الخالد ، وحامى العبد الأمين !! .. »

وسقط الكاهن أمام المذبح ينتحب ، والشموع المتقدة تذرى دموعها معه !

فثار في عليائه أبولو ... !

* * *

انتفض الآلـه العظيم انتفاضةً رجف من هولها الأولمب ، ورف في السماء كأنه سحابة مظلمة في ليل بهيم ؛ وفوق كاهله

الكبير قوسه الفضية الرنان ، وعلى ظهره كنانته الواسعة الشاسعة ، يُسمع لسهامها صليل أى صليل ... وأشرف من سمائه الضطربة على سفائن الأسطول المطمئن ، وما هو إلا أن تميزها حتى عبس وبسر ، ووتّر قوسه فانهمرت منها سهام كالمطر ، سبّها على السفن حاملات الخيل والبغال أولاً ، ثم لوى فأصلى سفائن الجنود وابلاً منها بعد ذلك ... فلا تسمع إلا أنيناً وبكاءً ، ولا ترى إلا صرعى يضجون ويُعولون ، ولا تحس إلا زفير جهنم وشهيقها يأخذ القوم من هنا وهنا فيقعون إلى أذقانهم سجداً وبُكيّا . . .

أمطر يا طاعون . . .

ولا حنانيك يا أبوللو . . .

* * *

ولستمر هذا البلاء تسعة أيام طوال كأنها دهر بأكمله . . .

وفى اليوم العاشر أوحىَ إلى أخيل أن يدعو مجلس الجيش ليرى رأيه فى هذه النكبة التى دهتهم بها ميازيب السماء . فلما التأم شمل القادة ، اجتمع الرأى على أن يذهب كالخاس فيستوحى أربابه لتكشف هذه الغمة ، أو ليرى بماذا ترضى من التضحيات والقرابين !

وعاد كالخاس ، كعادته كلما حمل أخبار الشؤم من لدن أربابه كاسف الوجه ، كالح الجبين ، يحبس فى صدره شجون الأرض ، وهموم السماء ! !

« خريسيز يا سادة ! »

« خريسيز تعود إلى أبيها القديس ، وإلا فتلك مقابركم جميعاً فوق هـــذا الشاطئ المظلم ، المضرج بدمائكم ، ودماء أعدائكم . . . ! »

« هكذا تنفق كلمة الآلهة من أجل أبوللو ... فويلٌ لنا جميعاً إن لم نهدئ ثورة صاحب القوس ، ورب النور ، وسيد الشمس . ! »

« اسجدوا لأبوللو ، واخشعوا . . . »

ونهض القوم من صلاتهم مشدوهين لا يحيرون ، ينظر بعضهم إلى بعض ، ولا تنفرج شفة بكلمة ، ولا يتحرك لسان بقول !

ولكن أخيل شعر فى صميمه أن القدر يُسخّره هذه المرة أيضاً لتفريج الأزمة ، وكشف البلاء ، فنهض غير هياب ، وأرسل قولة الحق فى غير وجل ، وصرّح بضرورة إرسال خريسيز إلى والدها القديس معززة مكرمة ، ثم تقديم القرابين من لحم العجول وشحم الأوعال إلى معبد أبوللو ، وإطعام الحاضر من شوائها والباد

وزلزلت الأرض زلزالها ، وهوت السماء فوق رأس أجاممنون!

ونشبت ملحمة هائلة بينه وبين أخيل ، أوشك البطل أن يغمد سيفه من جرائها فى صدر القائد العام ، الذى طلب بكل صفاقة أن ينزل له أخيل عن غادته بريسيز : « إذا كان لابد من نزول عن خريسيز ليسلم الجند من هذا الوباء !! وليسكن غضب أبوللو ، وترضى السماء ! »

وتأججت نيران العداوة بينهما ، ذاك يحرص على فتاته الهيفاء وذاك يحض على إنقاذ الجنود بتضحية الذات وإنكارها فى سبيل ما هو أسمى وأرفع ، ولكن أجاممنون عمى عن هذا المثل العالى ، فتشبث وأصر إلا ما نزل له أخيل عن بريسيز ، لينزل هو عن خريسيز . ! !

وهنا تتنزل الآلهة لتحكم بين الخصمين !

تبدو مينرفا ، ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، رسولاً من لدن حيرا ، سيدة ربات الأولمب ، للبطل أخيل ، بحيث لا يراها غيره ، فتعظه أن يضحى بفتاته ، ما دام هذا الفظ يتأبى إلا أن يكون ذلك . . .

ويصدع أخيل بأمر السماء . . .

ويذهب أوليسيز بابنة القديس إلى أبيها حيث يلقاه فى معبده يبكى . . . ويصلى ! فيبشره بها ، ويسأله الصفح والمغفرة فيهش الكاهن ويبش ، وتنهمر من عينيه دموع الفرح

وتقدم القرابين باسم الجيش الهيلانى إلى معبد أبوللو

فينكشف البلاء . . . . . وترضى السماء . . . ويُدفن الهيلانيون موتاهم !

أما أخيل . . .

فينقطع عن المعركة ، وينعزل فى معسكره ، لا يشترك فى الحرب ، ولا يشترك فيها جنوده الميرميدون !

وتحس أمه بما يلم به من الحزن ، فتزوره ، وتعده خيراً على يد الآله الأكبر ، زيوس ، سيد أرباب الأولمب !

(لها بقية)

دريني خشبة

من الأدب الأمريكي :

قيصر

للقصصي الأمريكي بول بورك Paul Burcke

تألق نجم مؤلف هذه القصة في العام المنصرم إذ تفوق بقصته « أخلاق » على جميع القصصيين الأمريكيين وأحرز من أجلها « جائزة أمريكا الأدبية لعام ١٩٣٤ »

بدأت المسألة بمعطف مطر . . .

وإذ خرج « قيصر سمث » في مساء يوم من أيام السبت المعهودة من جمعية رماية القرص التي يترأسها وسار على قدميه برغم المطر المدرار شاقا طريقه إلى منزله ، رأى في تسياره الآنسة « شيلا » منزوية في مدخل لأحد المنازل غير حاملة مظلة ولا متدثرة بمعطف ، وكانت تعمل جهدها للمحافظة على ثوبها الجديد من الماء الذي يتدفق منحدراً من سطح المنزل ...

وإلى اليوم لم يدرك قيصر ، وهو الرجل الخجول ، كيف تسنى له أن يبدأ بحديث مع سيدة غريبة عنه ، ولكن لعل فوزه في رماية القرص عصر ذلك اليوم أحيا فيه النشوة . والخلاصة أنه خلع معطفه وقدمه إلى تلك الآنسة ، وارتبك في القول

— « أنت هنا عرضة للتبلل بالماء ... ارتدى هذا المعطف »

ودهشت الآنسة من قوله ونظرت إليه في عجب وقالت :

— « ولكن كيف لي أن أقبل منك ذلك ؟ ... وأنت ؟ »

ولحظ قيصر أن لها عيوناً ناعسة ساحرة ، ولم يكن تبينها من قبل وقال لها :

— « لم يبق لي أن أسير طويلاً ، فنهاية سيري عند منعطف الشارع »

وكان ذلك منه اختلاقا ، وترددت الآنسة بادئ ذي بدء ، وكان من الواضح أن حرصها على ثوبها الجديد جعلها تتقبل في النهاية تلك التضحية . وأجابت

— « حقاً إن ذلك لعطف منك عظيم . لقد انهالت الأمطار فجأة ويلوح لي أنها لن تحتبس قريباً . إنني مدينة لك بالشكر »

فأجابها قيصر وفي نبرات صوته شجاعة الكرام

— « إنه أمر لا يستحق أن ينوه به »

وكان قد اعتزم المسير ، فسألته الآنسة :

— « ولكن إلى أي مكان أرده ؟ »

فقال : « اسمي قيصر سمث »

وسرعان ما حدقت فيه الآنسة وقالت :

— « ما أروعه اسما ! قيصر ؟ »

وأجاب في تواضع القنوع : « أي ، ولماذا ؟ »

ثم فاه بكلام كبير المغزى إذ قال :

— « لا تكلفي نفسك مشقة ارجاع المعطف »

ثم سكت برهة وقال :

— « سأحضر بنفسي لآخذه »

فترددت الآنسة لحظة ثم قالت :

— « حسناً . إني أدعى شيلا هيرست وأسكن في شارع مونرو رقم ١١٤ »

وأسرع في ارتشاف ابتسامتها العذبة واستمر يتابعها بنظراته حتى أدركه جارف من الماء انساق اليه من حافة قبعته ، فذكره بأن الوقت قد حان ليرجع الى المنزل

وفي المساء التالي ذهب ليسترجع معطفه ؛ فتعرف الى المستر هيرست وزوجته ، وقد استبقياه لتناول الشاي . وفي خلال ذلك تعرف الى « المستر راند » الذي كانت له حظوة عند كل فرد من عائلة هيرست . وتراءى لقيصر أن تلك الحظوة وذلك العطف فيهما الكثير من المبالغة التي لا مبرر لها . وكان للمستر راند سيارة اتفق المجتمعون على أن يستقلوها الى الشاطىء . وهنالك لم يجد قيصر من يتحدث اليه غير المستر هيرست ، إذ أن راند كان يسير في صحبة « شيلا » على بضع خطوات خلفهما . ثم دعوا قيصر إلى العشاء في ذلك اليوم ، وفي خلاله اختصته شيلا بابتسامة عذبة

وانتهى الأمر بقيصر إلى هذا الحد . ومنذ ذلك اليوم وهو يحمل وجهاً عبوساً ، وما ذلك إلا لتأكده من أن مشاعره تحمل الحب لشيلا ، ولكن أي أمل له – وهو الوظف البسيط ذو الأجر الضئيل – في آنسة يبتغيها لنفسه رجل مثل « راند » الثري . وبالمال الوفير تستهوى كل آنسة ؛ ثم ماذا يقدمه لها

عوضاً عن المال ؟ أيقدم اسمه المظيم الذى لم يحسن حتى اليوم صيانته ؟ أم يقدم لقبه كرئيس لجمعية رماية القرص ؟ لا شك أن هذا وذاك لا يغرى ، وليس ثمة من فائدة ترتجى . أما لو كنت رئيساً أو وكيلا لرئيس أو على الأقل سكرتيرا لاحدى المؤسسات الكبرى ، وكان لدى ما فيه الكفاية من المال لما توانيت عن نقش اسمى ووظيفتى على قبعتى ، ولأمكننى إذن أن أفصح عما يخالج نفسى ، ولعرفت كيف أرفع من شأن اسمى . ولكن أى حال عليها أنا الآن ؟ قيصر ! ! لا شك أنه هزؤ وسخرية ، وما دمت موظفاً بسيطاً فى « محل دولتل وشركاه » فلست قيصرا بل مجرد « أنت ياسمث » أو « أى . أنت الذى هنالك . . . » ذلك إذا ما أريد منى شىء

وانطوى قيصر على أفكاره ، ثم تذكر موعده فسار إلى منزل شيلا ، ولاحت له من بعد سيارة « راند » مستقرة أمام المنزل . والأولى أن نتناضى عما تمّ به ساعة أن رآها

وسألها « راند » أثناء تناول الطعام :

ـ إذن فستحضرين يوم السبت إلى ملعب كرة القدم ، حيث تشاهديننى فى الحفلة التى تقام ضد فرقة الأبطال الأندمين »

وأجابت شيلا : « نعم »

ونظرت إلى قيصر وقالت :

ـ « ولعلك تحضر أنت أيضاً ! »

وهز هذا رأسه وقال :

ـ « إننى آسف ، إذ أنى سأشترك فى اللعب »

وسأله « راند » : « أى شىء ، كرة القدم ؟ » ثم نظر إلى قيصر متعجباً من ضآلة جسمه وحقارة مظهره الذى لا ينم عن بطولة

واحمر وجه قيصر خجلا وقال :

— « كلا ، بل رماية القرص »

فقال « راند » هازئاً :

— « أى ، إنكم ترمون بذلك الطبق الصغير هنا وهنالك ، أليس كذلك ؟ لقد فعلت هذا يوم أن كنت صبياً . أما الآن فانى أجدها لعبة مملة »

وأجاب قيصر لفوره :

— « وكذا شأنى وكرة القدم . لقد كنت أبحث دائما عن لعبة تتجلى فيها المهارة . ولا شك أن قرصاً يرى ليصيب هدفا أدعى للمهارة والدقة من كرة تدفع بالأرجل لتتقدم فى السير »

وتدخلت شيلا فى ذلك الحديث الذى أخذ يشتد وقالت :

— « ألم نذكر شيئاً عن النزهة بالسيارة ؟ »

وتحمس « راند » وقال :

— « بلى ، دعونا نذهب إلى الشاطئ »

والتفتت شيلا لقيصر وقالت له :

— « وستكون بالطبع معنا »

وما إن وصلوا إلى الشاطئ حتى نزل ثلاثتهم من السيارة ، وأخذوا يتريضون فى طريق البحر ، وقد خلا من الناس أو كاد ، ولم يبق إلا بضعة أفراد متفرقين يستمتعون بالاستحمام فى البحر

وأرادت شيلا أن تطرق حديثاً لا يجر إلى المشادة ، فسألت :

— « هل يمكنك السباحة ؟ »

ولم يعرف كلاهما لمن وجه السؤال ، إلا أن قيصر بادر بالاجابة فقال :

— « قليلا ، إذ لم أتدرب عليها التدريب الكافى »

ثم قال « راند » :

— « وكذلك حالى ، إن لعب كرة القدم يستولى على كل وقتى ، ولهذا كانت معرفتى بالسباحة ليست عظيمة للغاية »

وسألته شيلا ثانية :

— « وماذا أنت فاعل إذا رأيت رجلا يغرق ؟ وليكن على سبيل المثل ذلك الرجل » وأشارت بأصبعها إلى رجل يسبح على بعد غير كبير من الشاطئ

وأجاب « راند » فى لهجة الواثق من نفسه :

— « بالطبع أقذف نفسى فى الماء وأعود به إلى الشاطئ »

ونظرت شيلا إلى قيصر وقالت له :

— « وهذا ما أنت فاعله أيضاً ، أليس كذلك ؟ »

وتردد قيصر فى الجواب ورنا ببصره إلى ما وراءه فوجد قائمة فى مدخل البحر معلقاً بها « حزام النجاة » مشدوداً بحبل إلى القائمة . فقال :

— « كلا ، إننى لا أقذف بنفسى فى اليم إذ أنى لا أجيد السباحة ، ولا يمكننى أن أسدى للغريق نفعاً »

وصاح راند بصاحبه : « أى جبان ! » ضمنها شيئاً من السخرية

وحدقت شيلا فى قيصر ، الرجل الذى يحمل اسماً كثير الوعود والآمال . وسألته مرة أخرى :

ـ « إذن تتركه يغرق ؟ »

فأجاب قيصر : « كلا ! »

وقبل أن يتم حديثه أخذ السابح — وقد كان على وشك النسيان منهم — فى أن يثير المسألة بنفسه . وكانت مفاجأة عجلى ساعة أن رفع السابح ذراعيه فى الهواء وصرخ مستنيثاً . فنزع رائد معطفه . ثم تردد وقال فى نفسه : هل من الانصاف أن أضحى بحياتى ؟ ولا شك أنه رأى فى هذه اللحظة الماء فى تلك البقعة أعمق منه فى المحيط ، ثم هو أصقع من ثلج القطب .

وحثته شيلا ، وقد بدأ القلق ينتابها :

ـ « أسرع ! ! انه يشرف على الغرق »

وصاح الرجل من الماء فى صوت يكاد يختنق :

ـ النجدة ، النجدة ! !

وصاحت شيلا مرة أخرى :

ـ « أسرع ، أسرع وإلا ذهبت أنا بنفسى اليه »

وقال لها قيصر بينما كان منافسه يتباطأ بشكل مزر ليخلع حذاءه :

ـ « قفى مكانك ! »

ثم انتزع « حزام النجاة » واتخذ موقفاً كالذى اعتاد أن يقفه فى عصر كل يوم سبت لرماية القرص . ثم رمى رميته فتطاير الحزام مع الهواء ورسم فى الفضاء قوساً عالياً ، ثم انبطح دفعة على الماء . وقد كاد يسقط على رأس المشرف على الغرق

وقال قيصر وقد تملكته السكينة والثقة بالنفس :

ـ « مصيب ! . . . يُقدّر بنقطتين . . »

وكانت شيلا ترقب رميته وتتابعها بنظرات وجلة . فلما أن اقتاد الذى نجا وجيء به الى الشاطئ وأفرغ زفيره وتأوهاته ، سأل عمن رمى اليه بحزام النجاة ، فأشارت شيلا الى قيصر وقد تملكها الفخار

وحدق الرجل الذى نجا من الغرق فى قيصر وقال له :

ـ « ظننت حقاً أن حياتى قد انقضت ، إذ أصبت بتصلب فى الشرايين فجأة . . . لقد كانت رمية متقنة »

وأفصحت شيلا عن قيصر بقولها :

انه رئيس جمعية رماية القرص

وقال الرجل وقد أدرك سر الأمر :

ـ « آه ، لهذا كانت تلك الرماية محكمة . والآن اسمح لى أن أقول لك إنك أستاذ ماهر . ولو أنك لم تكن هنا لكنتُ الآن فى ناحية ما من قاع البحر . . . انني أود من صميم فؤادى أن أقدم لك خدمة بأى حال ، فعرفنى ماذا تريد »

وما فرغ من كلامه حتى أخذ ينظر الى قيصر من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، ثم سأله :

ـ أين تعمل ؟

فأجاب قيصر :

ـ « فى محل دولتل وشركائه »

ـ « واسمك ؟ »

ـ « قيصر سمث »

وقال الآخر بصوت خافت :

ـ « إن قيصر اسم بديع » ثم أفصح وقال : « واسمى بلوارك » وأعقبه قيصر متسائلا :

ـ « من مصنع بنيفرسال للسيارات ؟ ! » فقد كان اسم بلوارك معروفا للجميع ، حتى لصبية الشارع

فقال هذا : ـ « نعم ، وإن لم تعلق أهمية خاصة على وظيفتك الحالية فانى أتقبلك فى محل عملى بكل ارتياح . إننى دائماً فى حاجة إلى شاب له قدرة على العمل فى الوقت المناسب والرجل العملى يجد عندى الطريق مفتوحاً أمامه . »

وأبرقت عينا قيصر وتمتم :

ـ « إذاً فلا أقل من سكرتير ! »

واتجه ببصره نحو شيلا التى كانت تحدق فيه طوال هذه المدة والاعجاب به قد تملكها

واندفع قيصر قائلاً وكأنه قد استقر على أمر

ـ « ليس من طبعى أن أستخلص الحوادث فأستثمرها لنفسى ، ولكن إن كنت حقاً فى حاجة إلىّ فانى أبحث عن وظيفة تمكننى من الزواج . »

ثم أخذ يد شيلا فى يده ، فما تراجعت ولا وهنت ، وكان ذلك أمام سمع « رائد » وبصره الذى تبلبل وانطفأ منذ اللحظة الأولى لتلك الواقعة

وهكذا جاوز قيصر كل تقدير

نقلها عن الانجليزية

ا . ا . ى